

دلالة المكان في رواية (ثابت الظلمة) لـ أمل بوشارب.

The Significance of Setting in the in the Novel "Thabet A-dhalma"

by Amal Bouchareb

راجح ذياب *

Rabah Diab

مخبر الترجمة والدراسات المقارنة في الفنون والآداب

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر)

University of Setif2 (Algeria)

r.diab@univ-setif2.dz

تاريخ النشر: 2024/12/02

تاريخ القبول: 2024/10/12

تاريخ الإرسال: 2024/09/15

ملخص البحث

يعدّ المكان عنصرا هاما وطرفا أساسيا في المعادلة الأكتمالية لمقتضيات المنجز الإبداعي، فهو بمثابة العمود الفقري الذي يربط أجزاء العمل، ونقطة التقاء عناصر البنية ومجال تجليها وتفاعلها ومنطلق حركتها والخلفية التي قد تشكل الرؤيا التي قام لأجلها النص، فيكشف الكثير من الدلالات العميقة التي يبرز بواسطتها المبدع أفكاره.

ومن أجل ذلك سعيت من خلال هذه الورقة البحثية إلى مدارسة هذا العنصر المتّسم بتعدد الدلالات والتنوع من مكان مغلق إلى مفتوح في رواية " ثابت الظلمة " لـ أمل بوشارب. الكلمات المفتاحية: دلالة، مكان، رواية، مغلق، مفتوح.

Abstract :

The setting is an important element and a fundamental aspect in the complete equation of creative achievements. It serves as the backbone that connects the parts of the work and the backdrop that may form the vision for which the text exists. Through it, the creator unveils many meanings by conveying their ideas. With that in mind, I have endeavored through this research paper to study this

* راجح ذياب r.diab@univ-setif2.dz

multi-meaning and diverse element of setting, ranging from enclosed to open spaces, in the Novel "Thabet A-dhalma" by Amal Bouchareb.

Keywords: Significance, Setting, Enclosed, Open.



مقدمة:

المكان الدعامة الأساسية التي تتركز عليها باقي عناصر السرد الأدبي، لا لأنه البعد الجغرافي المحدد أو فضاء النص حيث تدور الأحداث وتتحرك الشخصيات وتتضح معالمها وتتطور، بل لأنه ذلك المتحرك الحيوي في كل أبعاده الواقعية والمتخيلة، يرتبط ارتباطا وثيقا بالجانب الزمني والتاريخي للنص وشخصه، بحيث يولد هذا الترابط منظومة سردية يحسدها الشكل الروائي الذي أراده الكاتب لتقديم الأحداث والشخصيات وتفاعلاتها النفسية والحركية مع المكان.

ولأن الرواية من الأعمال الفنية الجادة، فقد تميزت بقوة الإحكام الفني من خلال تشبثها بحياة الأفراد والجماعات على مختلف المستويات، ذلك أن الصدق الفني وجودة التصوير كفيلا بأن يكسب العمل الروائي قيمته الفنية والإنسانية، وذلك ما تضطلع به رواية "ثابت الظلمة" لـ أمل بوشارب؛ صاحبة الاتجاه المتميز في التأليف الروائي الجزائري المعاصر.

و من هذه الفكرة تأتي إشكالية المقال المتمثلة في "دلالات المكان في رواية "ثابت الظلمة" لـ أمل بوشارب، وتتفرع عن هذه الإشكالية بعض التساؤلات أهمها: كيف تجلّى المكان في الرواية؟، ما هي دلالاته؟، ما دور الوعي المكاني للشخصية في تجسيد هذه الدلالات؟ للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي للوقوف على تيمة المكان باعتباره عنصرا له ثقله في البناء الروائي.

1- مفهوم المكان

1-1: لغة:

تشير الدلالة اللغوية للمكان على أنه الموضع وجمعه أمكنة، وأماكن جمع الجمع¹، كما أنه الموضع الحاوي للشيء، وعند بعض المتكلمين أن المكان غرض، وهو اجتماع جسمين حاوي ومحموي، والمكان عندهم هو المناسبة بين هذين الجسمين وليس بالمعروف في اللغة²، وفي معجم النفائس الكبير نجد: "مَكْنٌ فلانٌ عند السلطان مكانة، عظم عنده وصار ذا منزلة فهو مَكِينٌ جمع مَكْناء... يقال هو أمكنٌ من غيره عند الأمير أي أعظم منزلة... والمكان هو الموضع... ويقال هنا مكانٌ هنا أي بدله"³.

وقد ورد لفظ " المكان " في "القرآن الكريم" في عديد المواضع بدلالات ومعاني متنوعة منها ما يدور حول معنى (الموضع) أو (المحل): كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا... فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [سورة مريم: الآية 16-22] أي موضعاً أو محلاً شرفياً بعيداً عن أهلها، وفي السورة نفسها [الآية 75] ورد بمعنى (المنزلة) ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مِنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾، أما في قوله تعالى ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف: الآية 78] فقد جاء بمعنى (بدلاً من) وبذلك فإن: (الموضع أو المحل ، والمنزلة، وبدلاً من) هي من أبرز المعاني المذكورة في القرآن الكريم للمكان.

2-1: اصطلاحاً:

يمثل "المكان" عنصراً مهماً في تكوين النص الأدبي، فهو لدى الكثير من المبدعين بداية خيط الإلهام، بل إن هناك أعمالاً حملت أسماء أماكن وخلدتها، وبذلك تحوّل من مجرد إطار جغرافي تدور فيه الأحداث إلى ملهم وأحد العناصر الرئيسة في العمل الإبداعي الذي تدفعه للأمام، يعرفه (غاستون باشلار) بأنه "ما عيش فيه لا بشكل وضعي بل بكل ما للخيال من تحيز، وهو بشكل خاص في الغالب مركز اجتذاب دائم"4 ، في حين يرى (بيوري لوتمان) بأنه " مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة ... تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة والعادية مثل الاتصال والمسافة"5 ، وبذلك فقد حوّل من المستوى الفلسفي إلى المستوى السوسيولوجي، ويعرفه صالح ولعة على أنه مجموعة من الظواهر والحالات والوظائف أو الأشكال المتغيرة، التي تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية6 مثل الاتصال والمسافة.

ويتأسس المكان الروائي على اللغة فهو "مكون لغوي تخيلي تصنعه اللغة الأدبية من ألفاظ لا من موجودات وصور"7 ، وتعامل الروائي مع المكان لا يتم بالنظر إليه كأشكال، وحجوم، وفراغات، ومناظر، وأشياء، وألوان مختلفة، وإنما يتم باعتبار كل هذا مجرد رموز لغوية8 حاملة للكثير من الدلالات الجمالية، والوظائف الفنية، رغم ارتباط اللغة - أصلاً - بأصولها الحسية بفعل ما تتوفر عليه من أبعاد فيزيقية، ذلك أن النص الروائي له عن طريق الكلمات القدرة على خلق مكان خيالي له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة.

2- أهمية المكان وجالياته في النص السردى

عرف المكان الروائي نمواً تدريجياً لازم تطور الكتابة الروائية وتحولها من شكل روائي إلى آخر، وكذا تطور وعي الكتّاب بالمكان، وتطور رؤيتهم للعالم والوجود ككل، فهو يؤسّس بنفس الدقة والعناية التي تؤسّس بها عناصر الرواية الأخرى، "يؤثر فيها ويقوي من نفوذها، كما يعبر عن مقاصد المؤلف، وتغيير الأمكنة

الروائية سيؤدي إلى نقطة تحول حاسمة في الحبكة وبالتالي في تركيب السرد والمنحى الدرامي الذي يتخذه⁹، فهو يضطلع بقيمة محممة في بنية النص الأدبي باعتباره العمود الفقري الذي يربط أجزاء العمل بعضها ببعض... "ولا يقتصر دوره على كونه وعاء الشخصية والحدث بل يصبح صاحب السيادة المطلقة في إنتاج الشخوص والأحداث، بالإضافة إلى إنتاج السرد والحوار والوصف"¹⁰، وهذا ما جعله وسيلة تعبير عن المشاعر والتصورات المكانية، ومكوناً أساسياً في العمل الإبداعي يؤثر ويتأثر به، حضوره يسهم في اشتغال البنية النصية وإغنائها، وعلى العكس، فإن حضوره المتصدع، غير الناجز يعمل على تعطيل البنية وتفككها وهلهلها¹¹، و"أهمية المكان كمكون روائي تكمن أساساً في عمله الفعال في مجمل المكونات/البنى والسيرورات التي تشكل الرواية، وكذا في البرهان على وجود رواية مكانية أو على الأقل وجود سيرورة مكانية داخل الرواية، تتغلب على السيرورات الأخرى وتطبعها بها"¹².

يكون المكان في الرواية "إما حقيقياً أو خيالياً، وهما مختلفان تماماً عن بعضهما البعض، فالمكان الحقيقي الواقعي له علاقة بزمان حقيقي وبشخص منبثقين من ذاكرة ومرجعية الكاتب الفكرية الحقيقية، فيكون في بعض الأحيان المنتج الأدبي مفتقراً لعامل الإثارة والجمال الذي يتميز به المكان الخيالي الفني، إلى جانب أن المكان الخيالي يكون مكاناً متسماً بطبيعته المفتوحة التي تمنح الكاتب القدرة العالية على الخلق والإبداع وإثارة عامل التشويق عند القارئ المتذوق"¹³، فالأمكنة الخيالية لها القدرة على محاكاة الواقع والاعتباس منه ولكن بطريقة غير مباشرة، وبذلك يتحقق التلاؤم بين الواقع المؤثر والخيال بفضائه الرحب.

و للمكان بعده النفسي داخل النص، إلى جانب وظائفه الفنية وأبعاده الاجتماعية والتاريخية والعقائدية التي ترتبط بالمكان ولا تفارقه، له أثر كبير في تكوين الشخصيات ورسم ملامحها وتطوير الحوادث والحبكة، فهو ليس مجرد حقل للأحداث وإطار لشخصياتها، وإنما هو عنصر فعال في تحريك الأحداث ورسم الشخصيات بأنماطها المختلفة، فهو بذلك حدث وجزء من الشخصية ذاتها، فالأحياء والشوارع والمنازل والقصور تعتبر أماكن انتقال ومرور ومكوّن نموذجية، إذ أنها تشهد حركة الشخصيات وتبعث على تطور الأحداث مما يشكل مسرحاً لذهابها وإيابها عندما تغادر أماكن إقامتها أو عملها، وتمدها هذه الفضاءات المبتوثة هنا وهناك بإداعة غزيرة من الصور والمفاهيم، مما يساعدنا على إدراك ما هو جوهري فيها من قيم ودلالات وعلاقات بنوية تبين ذلك الفضاء وترسم مساره¹⁴، كل ذلك يساعد في معرفة أهم الصفات التي يُبنى عليها المكان في الرواية.

إنّ تتبع المكان في النص السردى يستدعي أداة إجرائية ومفهوماً نقدياً يوصل إلى ما هو جوهري من الدلالات، وهذا المفهوم هو ما تصطلح عليه الشعرية في بنائها النظري بالتقاطب؛ وهو ما يأتي عادة "في شكل ثنائيات ضدية تجمع بين قوى أو عناصر متعارضة بحيث تعبر عن العلاقات والتوترات التي تحدث عند اتصال الراوي أو الشخصيات بأماكن الأحداث"¹⁵، ومن ضمن هذه الثنائيات نذكر على سبيل التمثيل:

(المفتوح والمغلق)، (المتصل والمنفصل)، (القريب والبعيد)... فالمكان في الرواية ليس محض مكان محايد، وإنما هو مكان فني، يتم تصويره من وجهة نظر، ومن خلال رؤية معينة، وعبر التفاعل مع الشخصيات والحوادث، وهو بذلك يحمل قيمة أو يمثلها، أو يرمز إليها، بتحويله إلى عنصر جالي تتناسب جمالياته مع جماليات مكونات الرواية ككل، ولا تفارقها في جميع المستويات والأحوال. ويميز النقاد بين ثلاثة أنواع من الأماكن، وهي الأنواع التي عرضها " غالب هلسا " في كتابه " المكان في الرواية العربية " ¹⁶ على النحو الآتي:

- 1- المكان المجازي: وهو الذي نجده في رواية الأحداث وهو محض الديكور والساحة التي تقع فيها الأحداث، لا يتجاوز دوره التوضيح ولا يعبر عن تفاعل الشخصيات والحوادث.
- 2- المكان الهندسي: وهو الذي تصوره الرواية بدقة محايدة، تنقل أبعاده البصرية، فتعيش مسافاته، وتنقل جزئياته، من غير أن تعيش فيه.
- 3- المكان التجريبي: وهو الحامل لمعاينة الشخصيات وأفكارها ورؤيتها للمكان، يثير خيال المتلقي فيستحضره بوصفه مكاناً خاصاً متميزاً.

3- المكان ودلالاته في رواية "ثابت الظلمة":

قد ينشأ الفضاء المكاني في النص الروائي من فعل ووجهات نظر أو حوارات بين الشخصيات، التي تقوم باختراعات للأمكنة، إضافة إلى أن المتلقي يقوم بإعادة استرجاع الأمكنة الواردة، ويربطها بأمكنة في ذاته أو يتخيلها، وهذا ما يجعل من المكان يتجاوز وظيفته الاعتيادية بوصفه مكانا لوقوع الأحداث إلى فضاء واسع تتفاعل فيه أقطاب الرسالة، وفيما يلي دراسة للحيز المكاني الوارد في رواية "ثابت الظلمة" من زوايا الفضاء المفتوح والفضاء المغلق.

وانطلاقاً من أن لكل حدث حيز زمني ومكاني يجري فيه فإن للشخصيات في هذا النص حيزاً مكانياً تدور فيه، كان له بنوعية (مفتوح ومغلق) دور كبير في تحديد الخصائص النفسية والاجتماعية للشخصيات الروائية، وفي هذا المستوى تتقاطع الأمكنة المختلفة، لأنها جميعاً أداة تنتج فضاءات المتخيل، وهنا يعود المكان ليكشف عن بصريته وصلته بالواقع مادام وسيطاً بين عالم الداخل وعالم الخارج أو تواصلاً بين تأملات الذات وعلاقتها بتأملات الواقع، وعليه فالعلاقة بين الشخصيات والأحداث والأمكنة وطيدة جداً، وهذا يعني أنه بانعدام الأحداث والشخصيات تنعدم الأمكنة، وقد يكون الحدث مجموعة من الأفعال التي تقوم بها شخصية ما فتتخذ هذه الشخصية عالماً واقعياً أو خيالياً، أو مكاناً لجريانها، وينشأ هذا المكان عن طريق تذكر الشخصية له. ويمكن أن نميز في هذا النص السردى مستويين للمكان: المكان المفتوح والمكان المغلق.

1-3: المكان المفتوح:

وهو الذي يتردد عليه الفرد من دون قيد أو شرط مع ضرورة عدم الإخلال بالعرف السائد " يتميز بالانفتاح والافتتاح ... يحس فيه الفرد بأنه طليق في فضاء لا حدود له"¹⁷ ، ويقتل في الأماكن العامة، والتي يختلط فيها البشر فيما بينهم رغم اختلافهم، فيجد الفرد نفسه حرا في أفعاله والتعبير عن أفكاره، يكتسي أهمية بالغة في الرواية، إذ إنه يساعد على " الإمساك بما هو جوهري فيها، أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها"¹⁸، من خلال ما يمد به الرواية من تفاعلات وعلاقات تنشأ عند تردد الشخصية على هذه الأماكن العامة، التي مثلت البنية الشاملة التي تتشكل منها فضاء " ثابت الظلمة" فساهم انفتاحها في تطور وتقدم الأحداث.

وعند تتبعنا لنص " ثابت الظلمة" تم رصد الأمكنة المفتوحة الواردة فيه وفق ما يلي:

- الصحراء:

لقد كان للصحراء الحظ الأوفر في الظهور في الأعمال الروائية العربية، لكونها ملاذا فكريا وفنيا بالنسبة للكاتب، إضافة إلى الخصوصيات الجمالية والنفسية والثقافية التي تنفرد بها، لجأ الكاتب إلى توظيفها نظرا للأثر الوجداني والنفسي التي تتركه في نفوس زائريها، إضافة إلى الوجود الساحر والأخاذ الذي تتمتع به هذه البيئة، ولطالما شكلت ملهما للعديد من الكتاب الجزائريين الذين عملوا على توظيف الصحراء الجزائرية في رواياتهم، من أمثال مالك حداد في رواية "سأهديك غزالة" ورشيد بوجدر في رواية " تميمون" ...، فكانت رافدا للتوظيف الجمالي الذي يعزف أوتار العاطفة والأصالة الحقة.

والصحراء هي الفضاء المكاني الأساس الذي بُنيت عليه الرواية، هي موضع الحدث، وانطلاق السرد، ومكان تفاعل الشخصيات ومحطة هامة من محطات الوقائع الأساسية من خلال التنقيب عن الآثار، وردت بصفات ميزتها عن باقي الأمكنة منها " صحراء موارية"¹⁹، "بقعة قصية من الصحراء"²⁰، "صحراء تامنغست الشاسعة"²¹ "غياهب الصحراء"²² " صحراء مقفرة"²³، فالصحراء عند النظرة الأولى تبدو مكانا خاليا مقفرا يحيل على المخادعة والبعد والصمت والفراغ والظلام، كما بدا ذلك لـ "جنلوكا فيرو" عندما وطأت قدماه أرض الصحراء "نظر من النافذة وهو يغوص في تلك البقعة المقفرة وشعر أنه بدأ يخوض في أحشاء عالم ما وراء أعمدة هرقل، ليستبد به للحظات إحساس قوي بالوهل"²⁴، إلا أن الروائية أضفت على هذا الفضاء حركة وحيوية، فرضتها توالد جوانب عديدة اقتصادية وثقافية، أسهمت إلى حد كبير في توالد التفاعل في هذه المنطقة البعيدة من الجزائر، التي أغنت الخيال بإمكانيات التخريب الأسطوري والفلسفي، والذي يتداخل مع كثير من التأملات والأفكار الباحثة عن تأملات العزلة وألجنة الضائعة، أو غيرها من الأفكار التي شغلت البحث الإنساني.

اشتغلت الروائية على تحويل الصور النمطية لطبيعة الصحراء إلى علامات دالة على مخيال سحري كله تحرر وحيوية. "وبالتحديد جوفها الخفي، وما ينطوي عليه من بعد مراوغ لفكرة الغياب والامتلاء. الصحراء تشبهنا في لحظات الارتباك التي قد تضعنا أمام عري وجودي أو تفجر في أذهاننا عوالم فكرية خصبة. الأمر يتوقف على مقاربتنا لمنظور الظلمة، فهل السواد هو غياب كامل للضوء أم أنه اختصار للألوان كلها؟"²⁵. ومن هذا المنطلق عملت الروائية على تبيان الأبعاد الدلالية للصحراء كمكان فني متخيل، وإبراز محتوياتها الجمالية في المتن الروائي؛ فعوالم الصحراء ليست قاحلة ومجربة و... كما يبدو؛ بل هي أرض حكايات خصبة المعاني وقوية الدلالات.

إن فضاء الصحراء في رواية "ثابت الظلمة" ذو دلالات؛ سياسية، اجتماعية وأثروبولوجية، تظهر الأولى من خلال الأحداث السياسية التي شهدتها الجزائر في فترة معينة من تاريخها المعاصر، أما الثانية فتتمثل في ارتباط الرواية بالواقع وقده، في حين تتجسد الدلالة الأثروبولوجية من خلال الجمع بين معتقدات الطوارق والحضارة السومرية

- المطار:

المطار مكان مفتوح، واسع، بعيد عن المباني والعمران، يعدّ مرفقا لإقلاع ووصول الطائرات كما أنه مكان عام يلتقي فيه المسافرون من مختلف الأجناس والبلدان، ورد في الرواية كمكان انتقالي للشخصيات: "توجه جنلوكا إلى البوابة الخارجية لمطار أقنار حاج باي أخاموك بتمنغاست، حيث كانت تنتظره جيب غراند شيروكي سوداء لحمله للحظيرة الوطنية للهوقار"²⁶، فقد عملت الروائية على ربط الأحداث وتركيبها بين مطارين هما: مطار "أورلي" بباريس ومطار "أقنار حاج باي أخاموك" بتمنغاست؛ فالأول يمثل نقطة انطلاق سفر جنلوكا فيرو من وطنه، أما الثاني فيمثل نقطة وصول الشخصية، استعدادا لبداية عمله بصحراء الجزائر مع المركز الدولي للأبحاث الأركيولوجية، وبذلك شكل المطار كمكان مفتوح وفضاء انتقالي أرضية سردية في النص عبر خلق حركة وحيوية للشخصية من خلال الانتقال والتحرك، وهذا ما يعزز دور المطار في نسج الأحداث وتركيبها وارتباطها.

- المسبح:

يُقصد المسبح بغية الراحة والاستجمام والتخفيف من الضغوطات والأعباء، فهو يساعد على توفير الراحة النفسية، وكذا خلق أسباب المتعة والرفاهية، ورد ذكره في الرواية كمكان حامل لدلالات الراحة والترفيه والمتعة، "و اتجه ببطء إلى حافة المسبح وصورة آخر حساب مصري سري له في سويسرا تتراقص أمام عينيه"²⁷، "استلقى على كرسي السباحة الطويل. وضع ساقا فوق ساق ونفخ صدره ... نظر إلى طاولة المشروبات الباذخة التي كانت مفرودة بجوار كرسيه"²⁸، وكذلك "وقف على طرف المسبح بزاوية مائلة. وضع

يده على خصره في حركة تنم عن نفوذ²⁹، وعليه دلّ المسيح في الرواية على الاستراحة والاسترخاء والرفاهية والاستقرار، كما أنّه مكان لاستحضار الذكريات.

2-3: المكان المغلق :

المكان المغلق هو هو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية، حددت مساحته ومكوناته مكان العيش والسكن الذي يأوي إليه الإنسان، ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته، أو بإرادة الآخرين، قد

يكشف عن الألفة والأمان، أو قد يكون مصدرا للخوف والذعر³⁰، كما أنّه تلك الأماكن المعيّنة التي تحدّد للفرد المجالات التي يتحرك فيها، تؤدي دورا حيويًا في العمل السردي، لأنّها ذات علاقة وثيقة بتشكيل الشخصيات الروائية، و"تتفاعل هذه الأمكنة المغلقة مع الأمكنة المفتوحة بإيجابياتها وسلبياتها، فتغدو... مليئة بالأفكار والذكريات والآمال والترقب وحتى الخوف والتوجس؛ فالأماكن المغلقة ماديا واجتماعيا، تولد المشاعر المتناقضة والمتضاربة في النفس، وتخلق لدى الإنسان صراعا داخليا بين الرغبات وبين المواقع"³¹، وقد كان أغلب الاستعمال للأماكن المغلقة في نص "ثابت الظلمة" محصورا في: الغرفة، المكتب، القسم، المكتبة والمقهى.

- الغرفة (البيت):

البيت هو عالم الإنسان الأول، لا يستغني عنه أي إنسان لأنّه يشعره بالراحة والطمأنينة والسلامة غالبا، ولا يقارن بأي مكان آخر لما يحويه من خصوصية تعبر عمّن فيه، ورغم تعدد التسميات التي يحظى بها في الأعمال الروائية، كالمنزل، الشقة، الدار، فإنّ هذه التسميات تلتقي جميعا لتؤكد دلالة واحدة مفادها أنّه "مكان لا بد منه لضمان استقرار الفرد وإثبات وجوده، فهو خلية يتجمع فيها وداخلها أفراد العائلة حيث يمارسون بشكل تلقائي علاقاتهم الإنسانية"³²، فالمكان الواحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذاكريات وأحلام الإنسانية، فبدون البيت يصبح الإنسان كائنا مقتنا³³، لذلك تلقى الإنسان ما ينفك يعلن من خلال الإقامة في مكان ثابت، سعيا وراء رغبة متأصلة في الاستقرار وطلب الأمن للذات³⁴، "فإنك إذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان، فالبيوت تعبر عن أصحابها، وهي تفعل الجو في نفوس الآخرين الذين يتوجب عليهم أن يعيشوا فيه"³⁵، وبما أنّ الغرفة جزء من البيت فهي كذلك تتميز بالسكون والخصوصية والحماية من كل ما يحمله العالم الخارجي من مخاطر، كما قد تكون موضعا للتفكير والتخمين، والشعور بالخوف أحيانا، وهذا ما جسّدته شخصية جنلوكا فيرو: "نمت هزة غامضة من باطن كفه أشعرته لسبب ما بالتهديد... وخرج من الغرفة قابضا على سلاحه الألماني"³⁶، فغرفة جنلوكا كانت موضع سكّون إلى أن اقتحم هذا الهدوء أمرا عكر صفوه، وعلى الرغم من ذلك تبقى الغرفة المكان الأكثر أمنا والأكثر راحة وموضع الأسرار ومخزن الأفكار والنوايا بالنسبة لجنلوكا، تحمل دلالات الراحة والطمأنينة والخصوصية.

المكتب:

المكتب فضاء مغلق مخصص للعمل، يؤدي فيه صاحبه مهام عمله، يستمد نشاطه من مرتاديه؛ قد يكون شخصا في البيت وقد يكون إداريا في المؤسسات والشركات وغيرها. وهو في الرواية يدل على العمل: "جلس إلى مكتبه وتناول الملف الخاص بالوفاد الجديد"³⁷، كما قد يكون- على غير العادة- مكانا للاسترخاء والاستمتاع بالموسيقى، "ضيق عينيه وهو يسحب نفسا طويلا من سيجار الباريمو الذي كان يفضل تدخينه في المكتب"³⁸، "لكن لسبب ما فتح الدرج الأخير من خزانة الموسيقى في مكتبه، وسحب على نحو غير متوقع نابوكو من مجموعة السبع والعشرين"³⁹، وعليه ورد ذكر المكتب في الرواية حاملا لدلالات متنوعة تمثلت في العمل بالدرجة الأولى والاسترخاء أحيانا والاستمتاع أحيانا أخرى.

- القسم:

القسم مكان مغلق محدد المساحة بالنظر إلى مساحة المدرسة، يتلقى فيه التلاميذ الدروس المعارف والعلوم، إلا أنّ هذا الفضاء كان لمهدي مكانا للقسوة والمعاناة، رغم حبه الشديد للعبادة "كانت تلك لحظات قوية شهد فيها مهدي على نقش ما يفترض أنه اسمه على هيكل حبه المسقول. تبعته لحظات ترقب وارتباك شديدة قبل رجوع المعلمة وقلب دقة السبورة على أسماء المشاكسين الذين كان ينتظرهم عقاب تتنوع أشكاله وضروبه ... لم يفكر في الألم الذي سيشعر به مقارنة بنشوة مشاهدة التصاق حروف اسمه بجسد محبوبته الأزلية"⁴⁰، فالقسم في الرواية دلّ على الحب والكرهية معا.

- المكتبة:

المكتبة فضاء للمطالعة وطلب العلم، وجودها والاهتمام بها دليل على مستوى التقدم الحضاري والثقافي لدى الشعوب ورد ذكرها في الرواية كمكان خاص لشخصية "هينريك فورتسنبورغ"، "جلس هنريك بهدوء على أريكته مسندا يديه المضمومتان إلى صدره، ثم أطبق جفنيه ببطء. وغاص في نوتات افتتاحية أوبرا داي فالكير التي كان يبدو وكأن جدران مكتبته الفسيحة وكل زاوية فيها ترشح بنغماتها"⁴¹، فعلى غير المعتاد كانت المكتبة حيزا للاسترخاء حيث السكينة والهدوء.

الملهى (ملهى ميامي):

الملهى مكان منبوذ في المجتمع يتواجد بالمدن، يرتبط بلحظات التفرغ، يقصده زوّاره للسهر واللهو والمجون والسكر والغياب الكلي عن الواقع المعيش، يقدم على غرار بقية العلامات المكانية من خلال رؤية البطل ووعيه بهذا المكان "كان ذلك الملهى الأعلى حتما في ميامي يعطي رواه شعورا بالجرأة والجنون بمجرد ولوج عالم أضوائه اللعوية الزرقاء المخضرة، والذهبية ... وهذا الآن نعيم من نبرة قهقهاته ليطفأها كليا ويستعد للانطلاق بسيارته الفارهة فيما يشبه احترام لحظات روحانية إلى ملهى المدينة الصاحب"⁴²، وظفته الكتابة

مكان مفضل لشخصية "نزيح خنخان"؛ المكان المعهود لممارسة كل أنواع الترف، وعليه وإن تعددت معانيه ودلالاته فهي تصب في معجم واحد هو اللهو والترف.

الخاتمة:

يعدّ المكان أحد المكونات الحكائية الرئيسة التي تشكل بنية الشكل الروائي، الذي لا يقوم إلا بوجوده إلى جانب العناصر الأخرى المتصلة مع بعضها في سياق فني وجمالي وفكري ودلالي لتكوين الشكل النهائي للعمل السردى، ومن خلال تتبعي لهذا العنصر في رواية "ثابت الظلمة" توصلت إلى ما يلي:

- تقوم دراسة المكان في الرواية على تشكيل عالم من المحسوسات، قد تكون مطابقة للواقع أو مخالفة له.
- عمق التلاحم بين المكان والشخصية دلالات الأمكنة، وكشف عن وعي كبير بتداعياتها النفسية، وآثارها في سلوكيات الشخصيات.
- ورد المكان في الرواية متوافقا ورؤية الكاتبة التي تعمل على توظيف الخيال العلمي في أعمالها السردية.
- دلالات المكان في الرواية بمثابة الإعلان السياحي لصحراء الجزائر.
- دلالات المكان في هذا النص ذات أبعاد سياسية واقتصادية، فيه إشارة إلى الكنوز التي تحتفظ بها الصحراء بباطنها، والتي تحولت من فضاء للوحشة والخوف والتهيب، إلى مكان فيه السكينة والراحة وكل الخيرات.

هوامش

- ¹ - ينظر، ابن منظور، (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، مادة مكن.
- ² - ينظر، مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الكريم الغرابوي، مراجعة: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة الكويت، 1972، مادة مكن.
- ³ - جماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 1907.
- ⁴ - غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، 1980، ص 179.
- ⁵ - يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني (المكان والدلالة)، تر: سيزا قاسم، مجلة ألف، جامعة الجزائر، ع 06، 1986، ص 89.
- ⁶ - ينظر، صالح ولعة، المكان ودلالته في رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2010، ص 41.
- ⁷ - سليمان كاصد، عالم النص (دراسة بنيوية في الأساليب السردية)، دار الكندي النشر والتوزيع، الأردن، د.ط، 2003، ص 127.
- ⁸ - ينظر، عثمان بدري، بناء الشخصية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1986، ص 94.

- ⁹ - حسن بجراوي ، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999، ص 32.
- ¹⁰ - هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2003، ص 277.
- ¹¹ - ينظر، خالد حسين، شؤون العلامات (من التشفير إلى التأويل)، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص162.
- ¹² - صلاح صالح، الرواية العربية والصحراء، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1992، ص 235.
- ¹³ - صفاء إبراهيم العلوي، جاليات المكان في الرواية، <https://alwatannews.net/Opinion/article> (2023/11/20)، سا 10:00
- ¹⁴ - ينظر، حسن بجراوي، بنية الشكل الروائي. ص 81.
- ¹⁵ - المرجع نفسه. ص 33.
- ¹⁶ - ينظر، غالب هلسا، المكان في الرواية العربية، دار ابن هاني، دمشق، سوريا، ط1، 1989، ص 08-09.
- ¹⁷ - عطية فاطمة الزهراء، حركة الزمان والمكان في رواية مائة عام من العزلة لغابريال غارسيا ماركيز، مجلة دراسات وأبحاث، مج 14، ع 4، جامعة الجلفة، الجزائر، 2022، ص 128.
- ¹⁸ - حسن بجراوي، بنية الشكل الروائي، ص 79.
- ¹⁹ - أمل بوشارب. ثابت الظلمة. منشورات الشهاب، الجزائر، 2018، ص 12.
- ²⁰ - المصدر نفسه. ص 19.
- ²¹ - نفسه. ص 45.
- ²² - نفسه. ص 150.
- ²³ - نفسه. ص 156.
- ²⁴ - نفسه. ص 84.
- ²⁵ - خلود الفلاح. الكتاب الجدد محظوظون في التواصل مع القارئ، <https://tieob.com/archives/32549> (2024/09/30) سا 17:00
- ²⁶ - المصدر السابق. ص 81.
- ²⁷ - المصدر نفسه. ص 62.
- ²⁸ - نفسه. ص 63.
- ²⁹ - نفسه. ص 65.
- ³⁰ - ينظر، فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية، (دراسة في ثلاث روايات "الجنوة، الحصار، أغنية الماء والنار)، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، ط1، 2003، ص 163.
- ³¹ - حفيظة أحمد، بنية الخطاب الرواية في النسائية الفلسطينية، منشورات مركز أوعاريت الثقافي، رام الله فلسطين، ط1، 2008، ص 134.

- ³² - أحمد زنيبر، جاليات المكان في قصص إدريس الخوري، دراسة نقدية، التنوخي للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط1، 2009، ص.53
- ³³ - ينظر، غاستون باشلار، جاليات المكان، (مرجع سابق)، ص 37.
- ³⁴ - ينظر، حسن مجراوي، بنية الشكل الروائي، (مرجع سابق)، ص 52.
- ³⁵ - المرجع نفسه، ص 43.
- ³⁶ - أمل بوشارب. ثابت الظلمة. (مصدر سابق). ص 11.
- ³⁷ - المصدر نفسه. ص 46.
- ³⁸ - نفسه. ص 46.
- ³⁹ - نفسه. 162.
- ⁴⁰ - نفسه. ص 32.
- ⁴¹ - نفسه. ص 77.
- ⁴² - نفسه

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1- المصادر

- أمل بوشارب. ثابت الظلمة. منشورات الشهاب، الجزائر، 2018.
- 2- المراجع
- أ- العربية
- أحمد زنيبر، جاليات المكان في قصص إدريس الخوري، دراسة نقدية، التنوخي للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط1، 2009
- حسن مجراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999.
- حفيظة أحمد، بنية الخطاب الرواية في النسائية الفلسطينية، منشورات مركز أوعاريت الثقافي، رام الله فلسطين، ط1، 2008.
- خالد حسين، شؤون العلامات (من التشفير إلى التأويل)، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2008.
- سليمان كاصد، عالم النص (دراسة بنيوية في الأساليب السردية)، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، 2003.
- صالح ولعة، المكان ودلالته في رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010.
- عثمان بدري، بناء الشخصية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1986.

- غالب هلسا، المكان في الرواية العربية، دار ابن هاني، دمشق ، سوريا، ط1 ، 1989.
- فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية ، (دراسة في ثلاث روايات "الجنوة، الحصار، أغنية الماء والنار) ، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، ط 1، 2003.
- هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، د ط، 2003 .
- ب- المترجمة
- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، 1980.
- 3- المجلات
- عطية فاطمة الزهراء، حركة الزمان والمكان في رواية مائة عام من العزلة لغابريال غارسيا ماركيز، مجلة دراسات وأبحاث، مج 14، ع 4، جامعة الجلفة، الجزائر.
- يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني (المكان والدلالة)، تر: سيزا قاسم، مجلة ألف، جامعة الجزائر، ع 06، 1986.
- 4- المعاجم والقواميس
- ابن منظور، (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة، مصر.
- جماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 2007.
- مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، مراجعة: عبد الستار أحمد فراح، مطبعة الكويت، 1972.
- 5- المواقع الإلكترونية
- خلود الفلاح، الكتاب المجدد محظوظون في التواصل مع القارئ، <https://tieob.com/archives/32549>
- صفاء إبراهيم العلوي، جماليات المكان في الرواية، <https://alwatannews.net/Opinion/article>